الفصل الاول

المشهد الاول

(الارض – صالة)

يونس: اذن، انا ميت؟!

فجر: هذا حق!

يونس: وانت؟!

فجر: ملاكك الحارس.

يونس: وهؤلاء الناس؟

فجر: هم من أتوا لتأبينك، هنا في هذه الصالة؟!

يونس: يا لهذه الحقيقة اليقظة، كم تشبه حلم النوم – ميت وموجود –
يا لهذا الاحساس، خفيف بلا الأوزار، كأني حي لأول مرة؟!
ياه.. وهذا الملاك، أهذا هو الموت؟! ايجوز ان يحوي بشائر طيبة كما يتبدى من هذه العلائم المطمئنة؟! قلب أيا قلب، هدئ رطم طبولك غير المنتظم، وانت يا نفس تمهلي في استئمال الطيب!
ماذا الان يا ترى؟ الى اين؟ أإلى مسكن حياة في مكان ما – في البعيد الخفي خلف الوجود؟ أإلى فرح بلا انتهاء – في جنة كالمحكي عنها؟ وبعد،
أفسألتقي اليوم بأولائك من سبقوني، أبي.. يقينا سألقاك أبي الطيب، اتراك ما زلت بشاربك الخفيف الانيق، ويداك المشققة الدافئة؟! ويا من اوجدتني، أموجود أنت؟ ما أنت مما كتب عنك وقيل؟ يا لكم من أسرار كانت قيد التخمين والتخيل قد تستبين حقيقتها اليوم، لذا فلأتجلد ولأتابع لأتيقن بعد من الامور. والان يا...

فجر: اسمي فجر.

يونس: فجر، ماذا الان؟

فجر: سننتظر قليلا حتى يصل ملاك مرافق أخر، من ثم نحلق بعدها الى حمى مدينة الراحة السمائية – أورحوبو – هناك ستلتقي بالملاك الرئيس.

يونس: ما داع هذا اللقاء؟

فجر: هناك ستعرف!

يونس: اي لقاء سيكون هذا يا ترى؟

(يدخل شعاع الملاك المساعد)

شعاع: أنا هنا!

فجر: لم هذا الابطاء؟ أكنت تطير على بيض؟! وعينك، ما هذا، ماذا جرى لعينك حتى تورمت هكذا؟!

شعاع: الم يخبرك نجم الضحى؟

فجر: ماذا؟

شعاع: لم أجد فردة جناحي اليسرى.

فجر: لم تجدها!

شعاع: أنت تعلم، لم أطر انا منذ فترة.. العمل في تدوين الاسماء يا فجر يأخذ جل وقتي يا فجر، أحمد الله ان الفرصة قد سنحت اخيرا لأن ارتقي لاكون مساعدك في اول مهمة لي..

فجر: وفردة الجناح هذه التي تلبسها لمن؟

شعاع: استعرتها من شعشعيان بعد جهد جهيد، ولكنه كما ترى كان اكبر من جناحي..

فجر: وعينك المتورمة؟!

شعاع: لقد اختل توازني اول ما حاولت الطيران، فضربت في عامود الرخام الذي في صالة الاستقبال السمائية وأصبت في عيني اليمنى كما ترى!

فجر: حسنا، سنعالج هذا الامر فيما بعد، المهم انك هنا الان، اسمع:

شعاع: أهذا هو الانسان يا فجر؟!

فجر: هو هذا. اسمعني الان وإلا نتفتك ريشة ريشة. سأطير أنا الان لأتفقد الطريق، لازمه، واعتن به كحدقة عينك، مفهوم؟!

شعاع: اهه.

فجر: كن صاغيا لاستقبال الاشارة مني، سأنفخ ثلاث نفخات في البوق كما اتفقنا – هكذا (ينفخ)، عندها فقط تطيرا سريعا ومباشرة نحو منبع النجوم، هناك نلتقي، خذ – هذا دفتر تفاصيل يونس الشخصي، دون ما تبقى من تفاصيل استمارته..

مفهوم؟

شعاع: اهه

فجر: اهه، هذه تريبني، علينا النجاح في هذه المهمة الحساسة.. لا تجعلني اندم على اني قبلت بأن تكون مساعدي الجديد.

شعاع: لا تقلق.

فجر: لا تقل لي لا تقلق.

شعاع: حسنا، هدأ اعصابك!

فجر: يا الهي – انظر الي!

شعاع: هاك.

فجر: الى عيناي انظر!

شعاع: هاك

فجر: اخشى ان يفلت من يدك الزمام

شعاع: لن يفلت، لا تقلق!

فجر: قلت لك لا تقل لي لا تقلق! في كل مرة تقول لي لا تقلق، أقلق، بل ولأقلق

أكثر كثيرا، لقد أخطأت أني قبلت بك ملاكا مساعدا.. أين انت يا نبراس؟! ماذا فعلت بنفسك وبي؟! ، عجبا منك! ألا تعي خطورة الامور؟! ألا تعلم أن أجناد الاعداء متربصون في الارجاء – وانت وحدك معه هنا! من ثم بعد كل هذا تقول لي "اهه", و"لا تقلق". لقد تقت لان تتواجد بحذا انسان، لتقضي معه بعض الوقت.. ها قد رأيت "انسان".. قد رأيت مشتهى عيناك.. استؤول بنا الى الهاوية من اجل ذلك؟!

يونس: عذرا ايها الملاك..

(فجر وشعاع يلتفتان)

شعاع: انه يصدر اصواتا!

فجر: (لشعاع) انتظرني هنا!

يونس: هل كل شيء على ما يرام!

فجر: على اكمل وجه، هي الترتيبات الاخيرة بيني وبين زميلي، برهة ونباشر في رحلتنا!

شعاع: فجر..

فجر: شعاع، أسألك، كن صاحيا، تصرف بحكمة وحذر حتى ننهي ما اوكل الينا على اكمل وجه فننال رضا ملك الملائكة، سوف تكون عند حسن ظني، أليس كذلك؟!

شعاع: سأكون بالتأكيد..

فجر: حسنا، فلأودع يونس الان، يونس العزيز، أستأذنك، علي أن أذهب لأتفقد الطريق، سيبقى معك شعاع، وسيعتني بك الى ان نلتقي في مكان يدعى منبع النجوم، فاسمح الان..

فجر: شعاع، هل اعطيتك الدفتر؟!

شعاع: الدفتر، ها هو!

فجر: جيد، اياك ان تفلت منه ورقة – هاك قبلة المحبة... لا تسود وجهي.

شعاع: هاك قبلة المحبة، فليبيض الله وجهك.

(يخرج فجر)

شعاع: والان سأمتع نفسي بما سعيت من أجله منذ ان صنعت ملاكا، لو كان بمقدوري ان اراك بعيناي الاثنتان – ومع ذلك فسأحاول ان اتكيف مع الامر الى ان يعالجني نجم الضحى. سأجد لي موقعا مناسبا للمراقبة، هنا.. يا لحظك يا فجر انك تعينت ملاكا حارسا مع الانسان، وأما انا، ففي مكاتب السجلات السمائية – امضيت السنين أدون اسماء البشر دون ان اراهم، هذا ولد – دون يا شعاع، هذا مات – دون يا شعاع، دون، دون، دون... ولكن الان، ارى الاسم وقد تجسد.. ياه.. حقا ان مجرد مشاهدته ليقشعر له ريش الابدان كما قال شعشيان. سأتبادل معه أطراف الحديث وأطلب اليه أن يغني وان يرقص، أجل،فقد ذكر شعشيان، أن البشر يبكون لما يرقصون، ولم لا أطلب منه أن يبكي دون ان يرقص، فأرى الدموع تذرف دمعة دمعة!

يونس: ما معنى هذا الانتظار؟ أي طريق هذه التي ذهب ليتفقدها؟ لا يروقني مشاهدة ملهاة التأبين هذه؟ وهذه الوجوه، إلى ما بعد الموت ترافقني؟! وهذا الملاك!

شعاع: تبارك الخلاق، كأنه يتكلم كلمات، ما عساه يقول!

يونس: هوو، هيي!

شعاع: قد كلمني! هوو، هيي! لم أسمع هذه اللغة من قبل! ومع ذلك، سأحاول مخاطبته بلغته: هو، هيي، ها..

يونس: ما به هذا؟ أي لغة يتكلم؟! أنت، هناك، هل تسمعني؟

شعاع: أكانت هذه كلمات عربية؟! فلأتابع فأعرف.

يونس: يا الهي، يبدو ان معاناتي ستكون كبيرة مع هذا الملاك الغريب. أنت!

شعاع: حقا انها كلمات عربية، يبدو ان هذا الانسان واسع المعرفة في اللغات. سأكلمه بالعربية: أنت تحاكيني أنا؟

يونس: لا، أنا أحاكي خيالك!

شعاع: نعم، محاكاة الخيال لهي أمر مثير بيننا، انت انسان، وانا ملاك! بماذا تود محاكاة خيالي؟

يونس: يبدو اني سأحاكيه بالصمت!

شعاع: بالصمت، مثير! وماذا لو حاكيته بأغنية؟!

يونس: أغنية؟

شعاع: أو برقص وبكاء!

يونس: تريدني ان ابكي وارقص؟!

شعاع: نعم. الا اذا كنت تفضل البكاء وحده دون الرقص.

يونس: حسنا، هلا اجبت على سؤال اولا.

شعاع: تفضل.

يونس: : متى سننطلق من هذا المكان الى السماء؟

شعاع: حين نستلم الاشارة من فجر.

يونس: ومتى سنستلم الاشارة من فجر؟

شعاع: حين ينفخ فجر في البوق.

يونس: كيف لي ان اتصرف مع هذه المعضلة؟ بوسعي ان أفلت من هذا الملاك وأمضي بعيدا عن هذا المشهد، ولكن لا معرفة لي بعالم السماء هذا ولا بقوانينه الخاصه.. لا ولا الطرق والمسافات الى المكان المتعين الوصول اليه – "اورحوبو".. كنت لأبادر في مسعا كهذا، لو أني عرفت بعضا من هذه

الخفايا.. ولكن مهلا.. فإني حتى لو عرفت ذلك، وامتلكت القدرة على الوصول، فليس من الحكمة ان اخوض في مغامرة قد تجلب نتائج غير محسوبة، فأخسر ما انتظرته زمنا طويلا – ألا هي راحتي... يحسن بي ان احتمل بعد بعضا من الم الانتظار في هذا الظرف لاصل الى مرامي الاكمل، والذي صار الان اقرب من اي وقت مضى..

شعاع: واذن؟ استغني لي ام تبكي وترقص؟

يونس: سأفعل كل ذلك!

شعاع: حقا؟

يونس: أجل، ولكن هناك مشكلة صغيرة!

شعاع: ما هي؟

يونس: ان الامر يحتاج الى تركيز عميق وصمت طويل.

شعاع: ألا يمكنك ان تريني على الاقل دمعة واحدة الان؟

يونس: لا يمكنني فعل ذلك دون معونة على التركيز والصمت...

شعاع: أتود ان أصمت؟

يونس: أتستطيع ذلك؟

شعاع: بالطبع، أستطيع السكوت اذا ما لزم الامر، هاك، ساتابع انا في تدوين تفاصيلك حتى يتسنى لك التركيز.

يونس: جيد، فلنبدأ اذن

(صمت، يونس يتوجه جانبا)

يونس: هكذا افضل، كم يضيق بالمنتظر خلاصا، ان يقرع طويلا على الباب المغلق! كيف لي ان احتمل الان رؤية مشهد موتي الساخر؟ وهذه الناس.. من اتوا الى تأبيني، لا أذكر اني عرفتهم في حياتي، ولا أذكر أني كنت محبوبا إلى هذه الدرجة حتى يأتو إلى تأبيني، أوربما عرفوا أبي.. مهلا،

أهذا رشيد هنا؟ بلا, انه هو.. رشيد.. أي أصيل انت يا رشيد, يعقوب؟ أيعقوب أيضا هنا؟ يا للسخرية. اي هذا اليعقوب اللعوب.. وداد! اين وداد؟ لا بد ان تكون في مكان ما هنا.. ها هي: وداد, وداد, لو انها تسمعني.. كم جميل محياك اختاه العزيزة, وددت لو تعرفي اني بخير الان، ويلي! يا لهذه الوجوه، التي عاشت معي السنين الطويلة، أكلت وشربت معي، وأنا معها.. حيتني في الصباح، وسلمت علي في المساء.. وجوه شاركت معها الافراح.. وكنت معها في لحظات الاسى.. وجوه.. وجوه.. ووجوه.. منها ما ظلل باطن صديق الصق من اخ، ومنها ما ستر عدوا لئيم، ولكن اخطر هذه الوجوه جميعها، تلك ما كانت قناعا خداعا.. التي بدت جميلة ورائقة بمحياها الباسم، فقنعت بذلك قلبا مملؤا حسدا، مكرا، وغدرا، مجدولون كانوا بإحكام، كالضفيرة الجميلة.. كفاني الى هنا.. ان رؤية من تسالموا معي، ومن اصطرعوا واياي، كلاهما يستحضر ماضي امامي ويثير في مرارة الالم، بعد أن وجدت سكينتي اخيرا في هذا الموت الطيب.. سأحول عيناي عن هذه الوجوه الان، لا سبيل الا أن أبقى ساكنا هكذا، وظهري لحفل التأبين الساخر هذا.. ولأمتنع عن التكلم مع هذا الملاك الغريب، الى ان تأتي الاشارة المنتظرة من ملاكي الحارس فجر، هكذا..

شعاع: كلا، لا يمكن، هذا غير معقول..! مئة وثلاثة وثمانون مترا؟! لا يمكن، سأسأله لكي أتأكد.. قل لي أي هذا الانسان العزيز. ما هو طولك؟! ان فجر كتب هنا ان طولك مئة وثلاثة وثمانون مترا، ولا اعتقد ان هذا القياس دقيق.. لا يوجد بشر بهذا الطول! عجيب.. كان يجب ان تكون فاصلة في مكان ما بين هذه الارقام! ولست ارى اية فاصلة، ولا حتى نقطة! هذا امر عجيب.. واسم الاب.. اسم الاب غير واضح هنا.. ما هذا الحرف؟! ثسض.. ان خط يد فجر غير مقروء ابدا.. غير واضح.. انا لا استطيع العمل بمثل هذه الظروف! أريد التأكد من اسم الاب، ومن طولك، حسنا انت تتابع في التركيز، جيد، لا اريد ان اخرجك عن تركيزك حتى

تستطيع ان تبكي وترقص... ولكني ساقيس طولك، هاك.. متر واحد.. جيد، ثمانون سانتيمتر.. وثلاثة.. إذن متر واحد وثلاثة وثمانون.. الان توضحت الصورة، كان يجب ان يكتب فاصلة بين الرقم واحد والرقم ثمانية.. وهو لم يكتب هذه الفاصلة.. يا له من سهو.. جيد اني انتبهت.. الاذنين غير متوازيتين.. تجاعيد الوجه متصلة.. شامة صغيرة هنا.. جيد، سافحص وزن روحك..

(يحمله..)

واحد وعشرون غراما، روحك كروح غيرك.. تزن كالعادة واحد وعشرون غراما.. واحد وعشرون غراما.. جسدك ذاك الراقد هناك يزن تسعة وسبعون كيلو ومائتان وخمسة وثلاثون غراما.. والان انت نفسك بروحك التي بين يدي الان هنا تزن واحد وعشرون غراما فقط.. وزنك الان كوزن قطعة شوكلاطة صغيرة.. كرشة ماء.. او ملعقة طحين.. او قبضة عشب يابس.. يا لهذا التغير العجيب.. يا لحكمة الاله العظيمة في خلقك ايها الانسان العجيب.. عجيب أنت بتركيبك، بعيناك الاثنتان هاتان، أداة الإبصار، ترى الاشياء بهما ، تشتهي الطيب واحيانا تشتهي القبيح، بأذناك هاتان، اللتان صنعهما الله لكي تسمعا الاصوات وشتى الاخبار والاشعار، بفمك الصغير هذا، ولسانك الذي به تتذوق وبه ايضا تتكلم كلاما حلوا، واحينا تستخدمه للغناء، ومرات أخرى للشتم والنميمة والكذب، واليدان اللتان تصنعان الادوات وتعملان الارض.. كم من مرة تجدهما تنحتان الاصنام.. أو تحيكان المؤامرات او تسرقا فرح الاخرين او تقتلا حلم البسطاء.. عجيب انت، حين تراك الملائكة من الاعالي اذ تمشي على قدمين على خلاف باقي الكائنات.. على خلاف الزحافات والبهائم والدبابات والوحوش... فريد جدا انت.. اذ على صورته خلقك الله كشبهه.. يا لصنعة يدي الله.. كيانك وتفاصيلك وخيالك المورفولوجي كما قال "فجر"، عجيب انت في تركيبك المعقد.. مميز انت بالجسم المنتصب، وبما تمتلكه من اعضاء لا امتلكها انا، أنتَ مثلاً عندَكَ مَعِدَةٌ، هُنا! أنا ما عِندِي مَعِدَةٌ، هنا! أنتَ تأكلُ برتقالةً، أنا لا آكلُ برتقالةً! أنتَ عندَك عمودٌ فقريٌ، هنا- من الجمجمةِ حتى العصعوصِ! أنا ما عندي ولا حتى فقرةٌ – ناهيكَ عن الحجابِ الحاجزِ، والمرارةِ، والهوموجلوبين، والـ... والبروستاتا، ما هي وظيفةُ البروستاتا يا تُرى؟! فجرلم يذكرْ ذلكَ، سأسأَلُهُ في أقربِ فُرصةٍ؟! والدماغُ، هنا! بِهِ تحفظ

اتزانك وبه تُخطّطُ، لكَ قلبًا يَضُخُّ الحياةَ فيكَ، القلبُ مأصلُ الوجدانِ ومسكنُ الضميرِ ومرسى المحبة – مغرس الخير والشرور.. الموجِّهِ دفَّةَ سفينتِكَ أيهذا الانسانُ..

فإما تصل الى مرفأ السلام أو الى مستقر النائحين..

(يسمع صوت بوق بتذبذب..)

الاشارة!

(عتمة)